

الوجه القبيح لفكر القرن السادس عشر الأوربي
عصر الإصلاح البروتستانتي

دكتور
جورج حبيب بباوي
٢٠١٤

نشر موقع البوابة نيوز بتاريخ الثلاثاء ٢٠١٤/٩/١٦شكوى القس أشرف نادي حبيب راعي الكنيسة الإنجيلية المشيخية بشبرا الخيمة شكواه إلى مجمع القاهرة الإنجيلي المشيخي ضد القس سامح موريس راعي الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة بشأن ما أثاره في عظته عن فريضة العشاء الرباني، والذي هو تحوُّل خبز وخمر العشاء الرباني إلى جسد ودم المسيح الحقيقيين، الأمر الذي يناقض الفكر الكتابي الإنجيلي عموماً، والفكر المشيخي خصوصاً، وجاء نص الشكوى الذي حصلت عليه "البوابة نيوز" كالتالي:

الأفاضل رئيس وأعضاء مجمع مشيخة القاهرة الإنجيلي.

نعمة لكم وسلام بربنا يسوع المسيح ...

مقدمه لكم القس أشرف نادي حبيب راعي الكنيسة الإنجيلية المشيخية بشبرا الخيمة، طالباً إجراء تحقيق وفحص للإيمان من لجان المجمع المختصة مع الفاضل القس الدكتور سامح موريس بخصوص ما نادى به من على منبر الكنيسة الإنجيلية المشيخية في قصر الدوبارة، في صباح الجمعة ٥ سبتمبر ٢٠١٤، عن إيمانه – وإيماننا!!! بتعليم "الإستحالة والذي هو تحوُّل خبز وخمر العشاء الرباني إلى جسد ودم المسيح الحقيقيين"، الأمر الذي يُناقض الفكر الكتابي الإنجيلي عموماً والفكر المشيخي خصوصاً *transubstantiation* ولتسمحوا لي أيها الأفاضل القديسين أن أورد لحضراتكم حرفياً بعض عبارات الفاضل الدكتور القس سامح موريس التي ذكرها في عظته السابقة في حضور المئات، وكانت العظة مُذاعة على الفضائيات للملايين:

أقدم شرحاً بسيطاً وليس عميقاً، وليس فكراً صعباً لإيماننا بهذه الإفخارستيا ... وأننا نقول في قصر الدوبارة إننا نتناول من جسد الرب ودمه لنكذب على الناس، لكن الحقيقة غير ذلك – رأي مارتن لوثر أيه في الإفخارستيا؟ إن ده جسد المسيح ودمه. وقال هذا جسد حقيقي ودم حقيقي، ونحن نتناول جسد المسيح الحقيقي ودمه الحقيقي، فلم يغير كثيراً في فكر "سر" الافخارستيا! (ملاحظة: لم يذكر المرجع الذي يستشهد به).

شخصية جون كالفن أبو الكنيسة المشيخية اللي إحنا منها، فالكنيسة دي بنت

عقيدتها على جون كالفن، ماذا قال جون كالفن في رأيه في موضوع المائدة المقدسة؟ عشان في ناس بتقول إن أنت مش بتقول العقيدة الحقيقية للكنيسة المشيخية (ثم يُورِد اقتباساته من كلام كالفن دون ذِكْر المرجع، ولا رقم الطبعة edition لهذا المرجع!): "يقدم لنا المسيح في سمات الخبز والخمر مشاركة حقيقية في جسده ودمه".

إننا كُلنا في العشاء نتناول المسيح نفسه، حتى نصير أعضاء فيه، فلا ينبغي أن نتقدم إذا كنا نحمل حقدًا أو ضغينة ضد أي إنسان حي. ما قيل في الكلمة يتوافق أيضًا مع سِرّ العشاء (تعقيب القس سامح: فَسَمَّى العشاء سِرّ) الذي بواسطته يقودنا الرب للشركة مع يسوع المسيح.

إنه سِرٌّ عالٍ وفائق الإدراك أن نقول إننا نشترك في جسد الرب يسوع المسيح ودمه. (تعقيب القس سامح: كلام أصعب من كده) إذا اتفقنا على هذا نعترف بلا شك أن نُكران التناول الحقيقي، يسوع المسيح الممنوح في العشاء، يجعل هذا السِرّ عبثًا وبلا فائدة، وهذا تجديف مقيت وغير جدير بالاهتمام، فليست المسألة اشتراك في روحه، بل من الضروري أيضًا أن نشترك في ناسوته فلابد أننا حقًا نتناول جسد يسوع المسيح ودمه في العشاء حتى نملك يسوع كُليةً.

لكن الاتفاق (والكلام ليس اقتباسًا من كالفن، بل للقس سامح موريس) إن هذه الإفخارستيا سِرّ، وإن في العنصرين دُول الخبز والخمر هناك جسد المسيح ودمه، لنتحد به في ناسوته، وليس فقط بروحه ولاهوته، وإن هذه المائدة مقدسة جدًا لأن فيها المسيح شخصيًا.

ثم اقتبس من كتاب "الآباء الرسوليين" من رسائل أغناطيوس الأنطاكي الذي يقول:

- "تكسرون خُبْزَة واحدة، التي هي ترياق الخلود، الترياق الذي نتناوله حتى لا نموت بل نحيا إلى الأبد في المسيح يسوع".

- "يمتنعون عن سِرّ الإفخارستيا والصلاة، لأنهم يرفضون الإقرار بأن الإفخارستيا هو جسد مخلصنا يسوع المسيح الذي تألم عن خطايانا وأقامه الآب بصلاحه".

- إذًا (والكلام للقس سامح موريس) نحن نؤمن (؟؟؟) ونمارس هذا، بأن هذه

المائدة، هذا الخبز، وهذه الخمر، هي جسد المسيح ودمه الذي نتناوله بالإيمان.

هدف المناولة أيه؟ أن نتحد بالمسيح، هو تجسَّدْ، أخذ جسم بشريتنا، اللاهوت لبس الناسوت ليتحد بنا... وعلى الصليب اتحد بخطايانا... اتحد بنا لنتحد نحن به، وعندما نتحد نحن به، نخلُص، ننجو، نحيا... أنا الخبز النازل من السماء... أنا خبز الحياة، وهذا الخبز هو جسدي، مَنْ يأكلني يحيا بيَّ، مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه...

- هذا (الكلام والتعقيب لي) بخلاف حديثه عن أن تناوُل جسد ودم الرب الحقيقيين يدخل إلى المعدة فتمتصه خلايانا وأعضاؤنا حتى يصير كائنًا فينا، فننضح المسيح الذي فينا للآخرين !!!

الأفاضل الكِرَام، إن سبب تقديمي لهذا الطلب هو غيرتي على الحق الكتابي، الذي أثق كثيرًا أن كنيستي المشيخية هي الرائدة فيه على مستوى العالم وإلى مجيء ربنا يسوع، والحق دائمًا واحد، وهو ما لا يسمح بأي مجال لمجاملة أحد، أو طرح حلول وسط، على حساب هذا الحق.

... الأفاضل رئيس وأعضاء مجمع مشيخة القاهرة الإنجيلي - وبناء على ما سبق - أطلب بصفتي عضوًا في هذا المجمع الموقر الآتي:

١- ردًا رسميًا من المجمع الموقر مكتوبًا ومُعْلَنًا في مجلات الكنيسة الرسمية وقنواتها الفضائية على هذا التعليم؛ لأن السكوت عن الرد معناه أن المجمع راضٍ — ضِمنًا - عن هذا التعليم، وهو ما أنأى بهذا الكيان المبَارَك عنه.

٢- موقفًا مجمعيًا رسميًا إزاء الفاضل القس الدكتور سامح موريس، ومجلس الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة.

الرب مع جميعكم

القس أشرف نادي حبيب

راعي الكنيسة الإنجيلية بشبرا الخيمة

شبرا الخيمة في ١٠ سبتمبر ٢٠١٤

أخيراً، ظهر الوجه القبيح

لفكر القرن السادس عشر الأوروبي

عصر الإصلاح البروتستانتي

ليس هذا دفاعاً عن القس سامح موريس، ولا رداً على القس أشرف نادي حبيب. هذه مسألة خاصة بالكنيسة الإنجيلية المشيخية التي تربَّت على أغصان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. لكن المسألة الأولى التي تخصنا هو المسيح الرب، وما يقدمه الآخرون من تعليم عن أقدس نعمة إلهية تعطى لنا من الرب نفسه، وهو سر الشكر الذي خضع للابتزاز في العصر الوسيط، ثم إلى ابتزاز آخر في القرن السادس عشر.

أول ملامح هذا الوجه القبيح هو استخدام تعبير "**فريضة العشاء الرباني**"، مع أن المسيحية لا توجد بها فرائض؛ لأنها لم تنشأ في مدرسة التوراة، بل هي ثابتة على الأساس الإلهي للعهد الجديد، عهد يسوع، عهد دمه (لوقا ٢٢: ٢). والكلمة العربية "فريضة" هي نقل لما جاء في كتب الإصلاح *Oridinance* وتعني ما أُمر به حسب اعتراف الايمان المشهور باسم *Westminister* راجع الاقتباس في *W. A. Brown* مختصر اللاهوت المسيحي ص ٤٠٥.

لاحظ افتراق الطرق: **الطريق الأصلي**، وهو طريق الرب لا يعرف الأمر، ولم يأمر الرب أحداً بأن يمارس فريضةً، بل وزَّع حياته على تلاميذه بإرادة حرة؛ لأن الكلمة "لخم – ل خ م" تعني في الأرامية لحم وخبز. والنبيذ الأحمر "د ا م ا"، ويعني أيضاً دم

العنب أو الدم الإنساني في الأرامية. فعطية المحبة أصبحت فريضة، والعطاء الشخصي وهو كل ما يملكه يسوع أي جسده، ولذلك قال هذا هو جسدي .. هذا هو دمي .. خذوا كلوا .. خذوا اشربوا، تحوَّل من عطاءٍ إلى فريضة.

والطريق الذي تفرع عن الطريق الأصلي هو طريقٌ مزيَّف حشد أكبر قدر من الاعتراضات العقلية الباطلة، مثل كيف يعطي جسده وهو جالس مع تلاميذه؟ وهو طريق مزيَّف تجاهَل التعليم الرسولي الذي يقول: "قارنين الروحيات بالروحيات" (١كو ٢: ١٣).

وثاني ما يزعج هو الاقتباس الذي أورده القس أشرف نادي عن القس سامح موريس عن دخول جسد الرب ودمه إلى المعدة "فتمتصه خلايانا وأعضاؤنا حتى يصير كائناً فينا، فننضح المسيح الذي فينا للآخرين ..". ونقول إن هذا الاقتباس مزعج؛ لأن المسيح فينا قبل التناول وبعد التناول. وهنا يظهر أن ما غاب من التعليم المعاصر هو أن وجودنا نحن هو هبة، وعطية الوجود هي من الابن حتى قبل أن نؤمن؛ لأنه الكلمة ابن الله خالق كل الأشياء (يوحنا ١: ١-٣) وهو الذي بقدرته الإلهية يخلق ويثبِّت الكل في الوجود

- الذي لنا فيه الفداء
- بدمه غفران الخطايا
- الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة
- فإنه (الابن) خلق الكل ما في السموات
- وما على الأرض
- الكل به
- وله
- قد خُلِق (كولوسي ١: ١٣: ١٦).

ومأساة الأخ سامح موريس هي مأساة الفكر المصري نفسه الذي لم يأخذ، أو يقبل الأساس الواحد؛ لأن أساس الفداء هو الخلق، وبقاء الخلق حتى بعد السقوط؛ لأن

الخالق لم يحرم الخليقة كلها من نعمة الوجود، وهو التعليم الرسولي الذي شرحه القديس أثناسيوس (تجسد الكلمة الفصول الخمسة الأولى، لا سيما الفصل الثالث والرابع) لأن الإنسان هو ظِلٌّ الكلمة، وهو لا زال يتبعه.

ولذلك، السؤال، أو بالأحرى الاعتراض الذي أثاره فكر العصر الوسيط الأوربي عن كيف يعطي جسده وهو جالس بين تلاميذه؟ هو سؤالٌ سخيف. وما يجب أن يكون محل تأملنا هو: كيف يوزِّع الرب جسده، عندما يسمع كل واحد عبارة الرب نفسه: "هذا هو جسدي"، ويظل جسداً واحد يوزَّع، يقدَّم للكل دون أن ينقسم، بل يؤكل دون أن يُباد مثل الطعام البائد الذي ينزل إلى المعدة؟ والجواب ليس لدى الأخوة الإنجيليين؛ لأنهم أصلاً قد وقعوا في أخطاء قاتلة، وهي فصل وتقسيم المسيح نفسه إلى أجزاء، وأهم جزء هو الصلب، وقد تنال القيامة نوعاً من الاعتراف الشفوي، دون أن يكون المصلوب هو نفسه المتجسد، وهو نفسه قاهر القبر، وهو نفسه الحي من الأموات، وهو نفسه رأس الجسد الكنيسة. هذه حقائق الايمان التي تسلمها الليتورجية لنا؛ لأن المسيح الحي بيننا يوزِّع حياته الإلهية المتجسدة الممجَّدة وغالبة الموت، بل والتي لا يمكن أن توضَع تحت مراقبة وتحليل القوى العقلية التي تسود عليها قوة الإدراك التي لا تعرف إلَّا المنظور، وهو ذلك المنظور الذي سيطر على الفكر الأوروبي، وجعل المسيح شخصاً بشرياً عادياً مثل بولس وبطرس ويوحنا، لا يمكن أن يوزع جسده إلَّا إذا كان جسداً إنسانياً قد حاصره الموت، وأصبح في إمكان كل من يريد، أن ينال "قطعة" من الجسد، وليس الجسد كله. هذا هو أحد ملامح وسمات الوجه القبيح.

قارنين الروحيات بالروحيات:

يشرح معلمنا أثناسيوس العظيم الإيمان بأن الرب جاء لكي يملأ الخليقة، فيقول: "من معرفة الله بإعلان الكلمة نفسه في كل مكان: فوق وتحت وفي العمق وفي العرض، أما "فوق"، ففي الخليقة. وتحت، عندما صار إنساناً. وفي العمق، بنزوله إلى الجحيم. وفي العرض، أي في كل المسكونة، لقد امتلأ الكل من معرفة الله (راجع أفسس ٣: ١٧-١٩ وتجسد الكلمة فصل ١٦ ترجمة د. جوزيف موريس فلتس ص ٤٦).

وبعد ذلك يقول القديس أثناسيوس:

"لأنه لم يكن محصوراً في الجسد -كما قد يتوهم البعض- أو أنه بسبب وجوده في الجسد كان الكون خالياً منه، أو أنه بينما كان يحرك الجسد، كان العالم محروماً عن أفعال قدراته وعنايته". ولاحظ الفقرة التالية: "غير أن الأمر المدهش والعجيب جداً هو أنه مع كونه هو الكلمة الذي لا يحويه شيء، فإنه هو نفسه يحوي كل الأشياء. وبينما هو موجود في كل الخليقة، فإنه بحسب جوهره هو متميز عن كل الخليقة، فهو حاضرٌ في كل الأشياء بقدرته". ولاحظ أيضاً: "وواهباً الحياة لكل شيء مع أنه يحوي كل الأشياء" أما ما هو جدير بالاهتمام حقاً، فهي هذه العبارات:

* حتى مع وجوده في جسد بشري
* معطياً الحياة له
* فقد كان من الطبيعي أن يمنح الحياة للكون كله في نفس الوقت
* مع كونه حاضراً في كل جزء من الخليقة فهو يعلو على كل شيء
* وبينما صار معروفاً بأعماله التي عملها في الجسد
* فإنه كان في نفس الوقت ظاهراً أيضاً بواسطة أعماله في الكون". (تجسد الكلمة فصل ١٧).

ولذلك تقوى الصلوات الأرثوذكسية لا سيما قداس ذهبي الفم وتسبحة كنيستنا تقول:

- هو عن يمين الآب
- مع اللص في الفردوس
- في الجحيم مع الموتى (عندما نزل إلى الجحيم) عندما قُبر
- وهو يملأ كل مكان ولا يحويه مكان —كما يذكر أثناسيوس.

تمزق بسبب سيادة المنظور على غير المنظور:

العبارات السابقة كلها تدعونا إلى الإيمان بالمسيح "الكائن في كل مكان"، أما ما يحدث في وليمة الملكوت فهو:

* استعلان ذلك الحضور الإلهي لمن تجسد وتأنس وصُلِبَ ومات وقام، هذه الاستعلانات تمت في الجسد الإنساني الذي أخذه ربنا من القديسة مريم.

* التجسد هو استعلان التنازل إلى مستوى الإنسان (تجسد الكلمة فصل ١٥ وفصل ١٦).

* الصلب هو استعلان قوة الحياة على الموت ونهاية الموت (فصل ١٠: ٥ ص ٢٧).

* القيامة، وحسب كلمات أثناسيوس العظيم "تمت قيامة الحياة" (فصل ١٠ ص ٢٧). ولذلك، فنحن نرفض –بكل ما زرعته فينا التقوى والتاريخ والإيمان والمحبة والحق– أن يصبح المسيح:

– ثمناً يُدفع للآب عندما يصلب.

أو أن يكون قد

– حلَّ عليه الغضب الإلهي أو عقوبة الموت.

لأن تلك هي بعض ملامح هذا الوجه القبيح.

هذه أفكار تجديفية تُقال عن جهل، فيها تطاول فظيع على ابن الله، ومحاولة إنسانية لإخضاع المحبة الفائقة المعرفة، للمعرفة المحدودة بالحواس والمنطق الإنساني الخاضع لحدود الموت، وهي حدود البداية والنهاية، بينما بداية الرب يسوع هي –حسب التدبير– الميلاد الأزلي من الآب. ونهاية الرب يسوع هي الجلوس عن يمين الآب؛ لأنه "قد دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (متى ٢٨: ١٨).

وهنا يثور السؤال: هل للرب سلطان على الخبز والخمر على كل المذابح والموائد الإلهية، أم أنه قد تم تحديد إقامته في السماء — عبارة لا يجوز كتابتها ولا حتى النطق بها– ولكنها تعبِّر عن مرارة نفس عن اختفاء المسيح الرب عن الكون، وتعبِّر عن مرارة النفس من الجهل الذي يجعل البعض يظن أنه يأتي إلينا في القداسات فقط، أو أنه لكي يكون

فينا، عليه أن يدخل المعدة!!! نشير إلى أننا قد سبق لنا أن عرضنا التعليم الرسولي في كتاب "المسيحي والمسيح في شركة الجسد الواحد"[١].

الطعام الباقي والطعام البائد (يوحنا ٦: ٢٧):

الطعام الباقي حسب عبارة الرب هو الذي للحياة الأبدية، والذي يعطيه هو ابن الإنسان؛ لأن الله الآب ذاته قد ختمه (يوحنا ٦: ٢٧)، الطعام الباقي للحياة الأبدية هو خبز الله (يوحنا ٦: ٣٣) الواهب الحياة للعالم، هو يسوع حسب قول يسوع: "أنا هو خبز الحياة .." (٦: ٣٥ — ٦: ٤٨). أما الطعام البائد، فهو معروف.

طعام الحياة الأبدية:

١- لا ينفذ؛ لأن نفاذ أي شيء هو استهلاكه، وما يُستهلك هو بائد، وهو من الخليقة الخاضعة للموت.

٢- لا ينقسم إلى أجزاء؛ لأن الانقسام هو أحد علامات الموت.

٣- هو يسوع نفسه أو ذاته (أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يوحنا ٦: ٥١).

يسوع الرب الحال فينا قبل التناول:

هو حال فينا بالروح القدس؛ لأن الروح القدس هو الذي يقدِّم الرب يسوع إلينا، وهو الذي يعطينا: الإقناع — الإيمان - غرس الرجاء — رؤية ما هو سماوي — الشوق الشديد — طلب الخضوع والاتحاد بالرب وحفظ وصاياه - محبة تعليم ووصايا الرب والاعتراف به رباً ومسيحاً. الروح القدس هو عربون قيامتنا؛ لأن الجسد خضع للبطل مع الخليقة المنظورة (رو ٨: ٩ — ٢٤).

---

(١) منشور على موقع الدراسات القبطية واللاهوتية.

إذن، لماذا التناول؟

عبر بنا الرب بتجسده من مرحلة الوهم والتصور العقلي وحشر الحقائق في الكلمات فقط إلى الاستعلان المتجسد. لم يعد الله فكرةً، بل شخصاً، ولم تصبح الحياة الأبدية فكرة، بل "هبة الله في المسيح يسوع"، والمحبة لم تعد لفظاً، بل حقيقة أبدية متجسدة تعمل ضد كل ما نعرفه عن المحبة من أقوال؛ لأنها صارت فعلاً وعملاً.

يعطي الرب لنا حياته المتجسدة ليس بالكلمة فقط، ولا بالروح القدس وحده، بل يجب أن يأتي الاستعلان بجسده ودمه، أي بحياته.

إذن لماذا الخبز والخمر؟ لأن الرب يريد منا أن نقدِّم؛ لأن في التقديم "وعي الإرادة وانتباه الفكر"، وفي التقديم أيضاً قبول الإنسان لدعوة الرب: "اصنعوا هذا لذكري"، كما أن التقديم يتم بحلول الروح القدس، نفس الروح الذي كوَّن إنسانية المسيح يحل على الخبز والخمر؛ لأنه -بدون الروح- تصبح الإفخارستيا عودة للفكر الانساني المنفصل عن الثالوث، والذي يريد أن يحشر العطاء الالهي في عقله وفيما يقول ويفعل.

بقى أن نقول إن كلمات د. سامح موريس موجهة للأقباط الأرثوذكس الذين انضموا إليه عن جهل وعن عدم معرفة، وبحث عن تعليم ووعظ، ظن أنه الحق، بعد أن رفض تعليماً ووعظاً نزل إلى مستوى لا يليق بسبب الأعداد الهائلة من الكهنة والأساقفة الذين دخلوا إلى الكهنوت خُلسةً، ولم يستعملوا إلَّا طقوس الكنيسة، ولكنهم يجهلون التسليم اللاهوتي.

القلب أم المعدة؟

يقول الرب بفمه الإلهي إن "ما يأكله الإنسان لا يدخل إلى قلبه، بل إلى الجوف ثم يخرج إلى الخلاء .." (مرقس ٧: ١٩) ويقول الرسول: "الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا (الطعام) وتلك (الجوف)" (١كو ٦: ١٣).

يا لَعار إيماننا عندما لا نبشر بالحي الذي لا يمكن أن يدخل الإنسان إلَّا عن طريق الفم كطعام يستقر في المعدة!! الرب يأتي إلينا عندما نقدم له خبزاً وخمراً لأنه كما قال القديس أثناسيوس: "إن فكر الانسان قد انحط تماماً واستقر على الأمور الحسية.

فالكلمة أيضاً تنازل وأخفى ذاته بظهوره في الجسد لكي يجذب البشر إلى نفسه كإنسان، ويوجِّه إحساساتهم نحوه" (تجسد الكلمة ١٦: ١ ص ٤٦).

لقد جاء الخلط بين الخلقة الأولى، والخلقة الجديدة بأكبر قدر من "التشويش" والفوضى العقلية واللاهوتية تجلت في عدم قدرة استيعاب الجانب السمائي الإلهي الجديد المستعلَن للحياة الجديدة التي جاءت مع "تجسد الكلمة". ولعل أكبر دليل على ما أقول هنا، هو أن الأخوة والأخوات الذين طلبت منهم بالحاح دراسة، وليس مجرد الإطلاع على كتاب "الخلقة الجديدة" للأب متى المسكين، لم أسمع منهم، وهم مئات، تعليقاً أو حتى سؤالاً واحداً على ما قرأوه. والسبب هو أننا لا نزال:

١– ننقل الخبرة المتراكمة عندنا من خلقتنا الأولى –أي آدم الأول– إلى كل شيء جاء به آدم الجديد أو الأخير الرب من السماء، الإنسان الجديد يسوع المسيح الناهض من الخلقة الأولى القديمة التي صُلبت على الصليب، وقامت من أوجاع الموت (أع ٢: ٢٤)، ودخلت المجد الإلهي الذي تجلى على جبل طابور كحدث آتٍ؛ لأن الرب كان سوف يُستعلَن بالخروج الجديد، ليس من أرض مصر وعبور البحر الأحمر، بل بعبور بحر الموت (لوقا ٩: ٣١)، والذي عبَّرت عنه مديحة تُقال في كيهك: "شق المسيح بحر الجحيم وألقى الشيطان جواه، لأن إلى الأبد رحمته"، ضاع أصلها القبطي ووصلنا أصلها العربي في ترجمة ركيكة.

٢– على أن أسوأ ما في نقل الخبرة القديمة للخلقة الأولى، هو سيادتها بكل ما لديها من مصطلحات وأنظمة ونظريات على الخلقة الجديدة التي لا يوجد فيها نفس المصطلحات ولا نفس الأنظمة، بل وهي بلا نظريات عقلية بالمرة؛ لأنها جاءت باستعلان لا علاقة له بما هو مألوف عندنا من الخلقة القديمة. وعلى سبيل المثال لا الحصر: عندما نقول إن محبة الله هي بلا سبب، فإن العبارة تصطدم بما في العقل مما يستوجبه قانون الخلقة الأولى من أن لكل شيء سبباً، وأن حتى الخلق له سبب؛ لأن الله هو سبب الوجود، وعلة وجود كل شيء، بينما –حتى في لغة الأسفار الأولى (أسفار العهد القديم)–، الخلق هو إرادة صالحة دعت الكل إلى الوجود، وكان روح المسيح يرف على وجه المياه (حسب ما جاء في تقليد يهودي قديم مسجل في كتاب مهجور بدأ

يطفو في مجال الدراسات السامية في السنوات الأخيرة وهو "الذوهار" ZOHAR).

وعندما قدم لنا إنجيل يوحنا الكلمة *Logos* الخالق، فقد قدم لنا إشراق نور الحياة الذي لا يمكن أن تغلبه أو تقوى عليه الظلمة. وفشلت أكبر العقول الأكاديمية في استيعاب بساطة الحقيقة، وهي أن عمل الله هو صلاح وإشراق نور لا علاقة له بأي سبب عقلي (راجع على سبيل المثال فشل بولتمان في فهم مقدمة إنجيل يوحنا)، وكان بولتمان في ذلك الوقت يمثل زبدة الفكر الألماني المسيحي، واعتبر أن ثنائية النور – الظلمة، تأثير غنوسي، بينما العبارة الصادمة جداً لكل ما في الغنوسية: "الكلمة صار جسداً"، أي أن تجسد الكلمة لم يكن لحل ثنائية النور والظلمة، بل لإشراق الصلاح الإلهي بلا سبب. ولكن الخليقة القديمة، للأسف لا تقبل أن يتم شيء ما دون سبب، وهي لا تفهم أن الصلاح "فيض" لا يخضع للتحليل العقلي. وقد ساد التحليل العقلي طوال ٥٠ سنة على الأقل، وفي مصر لدينا من هو مفتون بالأستاذ الألماني بولتمان BULTMANN.

ضياع بعض ملامح الخلقة الجديدة في المسيح في فكر حركة الإصلاح:

في كل القداسات ينادي الشماس: قبِّلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة. وحسب أقدم ما وصلنا من تعليم الموعوظين للقديس كيرلس الأورشليمي كان الشماس يقول:

"اقبلوا كلٌّ الآخر، ليقبل كل واحد الآخر". "اقبلوا، أي *Receive*".

ويحذر القديس كيرلس الأورشليمي الموعوظين قائلاً:

"لا تظنوا أن هذه القبلة لها نفس المعنى الشائع عموماً عند الأصدقاء. أنها ليست كذلك. أنها علامة اتحاد النفوس التي تبيد كل إساءة. ولذلك السبب قال المسيح: إذا قدَّمت قربانك على المذبح وهناك تذكَّرت أن لأخيك شيئاً ضدك، اترك قربانك على المذبح وأولاً أصطلح مع أخيك وبعد ذلك تعال وقدِّم قربانك". القبلة هي مصالحة، ولذلك قال بولس المبارك في مكانٍ ما صارخاً: "قبلوا بعضكم بعضاً"، وبطرس "بقبلة المحبة" (العظة ٢٣ للموعوظين في شرح الليتورجية).

ويعظ ذهبي الفم في تعليم الموعوظين (٢: ٢٧).

"بمجرد خروج كل الذين غطسوا في المياه المقدسة، كل الحاضرين يقبلونهم في أحضانهم، وبتحية القبلة فرحين معهم مهنئين إياهم؛ لأن هؤلاء كانوا سابقاً عبيداً وأسرى ولكنهم الآن صاروا البشر الأحرار وبنين، ودُعُوا إلى المائدة الملوكية".

ويشرح القبلة في نفس التعليم للموعوظين (١١: ٣٢-٣٣-٣٤): "لماذا القبلة؟ لقد صارت أجسادنا للمسيح، لتتوحّد نفوسنا في هذه المناسبة (المعمودية) بواسطة القبلة؛ لكي يصبح اجتماعنا مثل اجتماع الرسل، لأن جميع الذين آمنوا كان لهم قلب واحد ونفس واحدة متحدين معاً برابطة مثل هذه تجعلنا نقترب من الأسرار المقدسة. اسمعوا ما يقوله المسيح: إذا تذكرت أن لأخيك شيئاً .... الخ. هو لم يقل قدِّم أولاً، بل قال اصطلح أولاً وبعد ذلك قدم. عندما توضع التقدمة أمامنا لنصالح كل الآخر لكي نستمر في تقديم الذبيحة".

لكن يوجد معنى روحي آخر مستيكي *mystical* للقبلة. لقد جَعَلَنا الروحُ القدس هياكل للمسيح. لذلك عندما نقبِّل كلٌّ الآخر على الفم، فنحن نقبِّل باب الهيكل فلا يفعل أحد ذلك بضمير ملتوٍ شرير نابع من عقلٍ عفن خفي؛ لأن القبلة مقدسة والقديس بولس يقول: "قبِّلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة" (راجع أيضاً نفس الشرح عند امبروسيوس، الأيام الستة للخليقة ٦: ٦٨ ومقالته عن النفس الإنسانية ٣: ٨ وهو يقبِّل أخيه الذي كان يحتضر؛ لأن أخيه سكب نفسه وهو يموت، وقبَّله امبروسيوس على فمه لقبول أخيه". ومن الملاحظ أن النص القبطي لقبلة يهوذا للرب في الإنجيل كانت على الفم، وفي حين أسقطت الترجمات العربية كلمة فم، ظلت الكلمة موجودة في القطمارسات القبطية العربية لأسبوع الآلام).

لست أشك أن ثقافة المجتمع المصري المنقلب من الوثنية إلى المسيحية، ثم إلى الإسلام قد مزجت الكثير من الممارسات. ولذلك لم نعد نسمع حتى بعد انتشار النهضة القبطية في العشرينات، وحتى بعد صراعات الأب متى المسكين التي قوبلت ببردة شديدة للوراء من بعض الأكليروس، عن تجلي الجسد بالروح القدس. كانت هذه ملاحظة الراحل الكريم الأنبا مكسيموس الراهب والأسقف المحرَّقي الذي تذوَّق الحياة الروحية

الأرثوذكسية، وكان يصف العادات الاجتماعية التي تكوَّنت في المجتمع المصري مثل الادعاء بنجاسة الجسد، لا سيما نجاسة السيدات، بأنها "معتقل الحرية الذي لن يقتحمه إلَّا المسيح".

الفم يا سادة، وأبناء الكنيسة الأرثوذكسية، وأسرى تعليم حركة الإصلاح، هو باب الهيكل، أي الجسد؛ لأن الرب لم يعطِ طعاماً لكي يدخل إلى المعدة، رغم أن هذا ما تراه عيون الخلقة الأولى.

ما الذي تراه عيون الذين استناروا بنور الروح القدس في الخلقة الجديدة؛ لكي تترك القبيح في الخلقة الأولى؟

١– "شجرة الحياة"؛ لأننا في الفردوس، أي الكنيسة:

* نرى أننا أمام شجرة الحياة التي مُنع آدم من الأكل منها بعد سقوطه. لأننا لم نعد غرباء عن الفردوس ولا عن الحياة الجديدة. وهذه النظرة هي رؤية ما فوق الحرف، أي بنية الحياة الجديدة. طبعاً الإسم "شجرة الحياة"، وهنا الصليب هو الشجرة والإفخارستيا هي ثمرة هذه الشجرة "ترياق عدم الموت" حسب تعبير الشهيد أغناطيوس الانطاكي (راجع كيف تتغنى القطعة الثانية في ثيئوطوكية الخميس بشجرة الحياة).

٢– مع الشاروبيم والسيرافيم:

في التسبحة اليومية: الفردوس فُتِحَ ليس فقط للص الذي آمن، بل يتهلل الفردوس بمجيء الحمل الكلمة ابن الآب الدائم إلى الأبد ليخلصنا من خطايانا (القطعة السادسة من ثيئوطوكية السبت).

وفي كل كلمة مثل الحمل (الفصح)، الكلمة (الخالق) ابن الآب الدائم إلى الأبد الذي حلَّ "الموت وكل رباطات الموت"، نجد الايقاع أو النغم الإلهي للخلقة الجديدة:

– "المدينة النفسية (العقلية) التي سكن فيها العلي (أيل عيلون) الجالس على مركبة الشاروبيم والسارافيم يمجدونه

– حملته على ذراعيك المعطي طعاماً

– لكل ذي جسد من قبل رأفته

– مسك ثدييك وأرضعتيه اللبن (تظهر في الايقونات القبطية والدة الإله

القديسة مريم تُرضع الرب يسوع من ثديها) لأنه هو إلهنا ومخلص كل أحد" (أنظر ثيئوطوكية الجمعة).

هذا هو تحول الخلقة القديمة إلى الجديدة.

– المخلص يرضع لبن الأم، ولهذا نجد أن مرد هذه القطعة الفاخرة من لاهوت الاسكندرية:

"هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له".

– الشاروبيم لا يستطيعون النظر، ولذلك يغطون وجوههم. أما نحن فكما تقول كلمات التسبحة: "فننظرك على المذبح، بل ونتناول من جسدك ودمك".

التحوُّل الكبير:

سبق لنا الإشارة إلى هذا التحول، وسبقنا في ذلك القمص متى المسكين. وعلى الرغم من ذلك لا زال الأكل والشرب والملابس ... الخ من بقايا الخلقة القديمة، تُدخلنا في تجربة خلط القديم بالجديد.

لقد كانت التسبحة السنوية، وهي في الواقع التسبحة الأسبوعية، المرتَّبة لكل يوم، هي أول وأعظم مراحل التطهير من سيادة العهد القديم على العهد الجديد، وهي بداية إشراق نور الاستنارة بالروح القدس.

– لقد "صالحنا الله من قبل صلاحه" (ثيئوطوكية السبت القطعة الأولى).

ها هي الأناشيد لا تذكر الأسباب، بل وتخلع النظريات؛ لأن القديسة مريم صارت السماء الثانية.

ما هو التحول الكبير؟

* الجسد صار هيكل الروح القدس وسكنى الثالوث القدوس (يوحنا ١٤: ٢٣).

* اللسان هو الأرغن الذي يسبِّح.

* اليدين هما قوة الإرادة.

* الرجلين هما ثبات الإنسان والسعي الدائم.

* القلب، أي الحياة الداخلية، هو مستودع ومكان ومستقر روح الرب.

* العينين هما قوة الفهم.

* الفم هو باب هيكل الروح القدس.

ماذا عن الطعام؟

هو "شجرة الحياة"، وكل حديث عن الشرح الكيميائي للتناول هو ردة إلى الخلقة الأولى القديمة التي ضربها الموت، وهذا هو ما يقول عنه رسول الرب: "الأطعمة للجوف، والجوف للأطعمة والله سوف يبيد الاثنين. أما في الخلقة الجديدة، الطعام هو ما تأخذه سرائرياً.

في تسبحة الثالوث نقول:

"قلبي ولسان للثالوث يسبحان – أيها الثالوث القدوس أرحمنا".

عندما يرتفع التسبيح من القلب، يدخل الكيان الإنساني سيمفونية الخلقة الجديدة؛ لأننا نحن بالتسبيح نصبح قيثارة الروح القدس، وهذا هو أحد أسباب عدم استخدام آلات الموسيقى، ليس لأنها شر، بل لأنها أضعف وسائل التسبيح؛ لأنها لا تعطي للقلب حرية النغم المعطى من الروح القدس. ولذلك نحرص على أن نرتل بإيقاع واحد من أجل وحدة الشعب في خدمة الثالوث، درأً لما يفعله التشويش.

أليس جسدي هو جسدك يا يسوع؟
فقد وحَّدتَ وجودي بوجودك
وحدانية حياة.
أليس قلبي هو مكانك؟
كيف تحلُّ ضيفاً على المعدة
وأنت مشتاقٌ إلى القلب؟
ألم يكن عطاءُ الجسد والدم عطاءَ حياةٍ؟
كيف صارت العطيةُ هبةً ماديةً؟
وتجسُّدُك حوَّل ما هو ماديٌّ إلى ما هو أبديٌّ
أنت يا خبزُ الحياةِ
الذي يأكله لا يموت
لستَ خبزاً مثل باقي الخبز
أنت يا كأس الخلود
دمُكَ في دمائنا
لا يفنى؛
لأنك غالبُ الموت.

د. جورج حبيب بباوي
١٨ سبتمبر ٢٠١٤